استشراق الحكاية:
ألف ليلة وليلة في القصة الأمريكية

في عام ١٩٩١ نشر الروائي الأمريكي جون بارث - وهو أحد أبرز الروائيين الأمريكيين المعاصرين - رواية عنوانها *الإبحار الأخيرة لشخص ما البحار*.(١) ولن يحتاج القارىء للمضي إلى أبعد من صفحة المحتويات ليتبين المرجعية الدلالية للعنوان وللنسيج الروائي نفسه: فشهرزاد والسندباد وهارون الرشيد وبغداد كلهم هنا يعلنون عن *ألف ليلة وليلة* كحضور أساسي في عمل روائي طالع للتو من خضم الحياة الثقافية الأمريكية. ومع أن ردود الفعل النقدية لهذه الرواية لم تتبلور بعد، فإن من المستبعد أن يكون الحضور الأساسي لـ *ألف ليلة وليلة* فيها مثار دهشة بحد ذاته لنقاد بارث ومتابعيه في الولايات المتحدة وخارجها. يعود السبب الأول في ذلك إلى مألوفية تلك القصص الشرقية في أعمال ذلك الكاتب ومنذ فترة مبكرة كمصدر رئيس لتقنية القص وفلسفته. يضاف إلى ذلك السبب الأقدم وهو شيوع استعمال *ألف ليلة* أو الليالي العربية - كما تسمى أحيانًا - في الآداب الغربية عمومًا منذ أن احتضنتها أوروبا في مطلع القرن الثامن عشر وتعهدتها بالرعاية والانتشار.

في مقدمة طبعة أمريكية جديدة اختيرت من ترجمة وليم لين لـ *ألف ليلة وليلة* (١٨٣٩) عنوانها «أفضل المختارات من أسمار الليالي العربية» نجد تعبيرًا عن الاستغراب من أن هذا العمل لم يكن محل تقدير كبير في موطنه الأصلي: «فقد اعتاد المثقفون العرب أن ينظروا باحتقار للكتابات القصصية؛ ومع أن الحكايات تمثل تراثهم الشفوي، فإن قراءتها ظلت تعتبر مضيعة للوقت». ثم تشير كاتبة المقدمة إلى أن «بقية العالم لم تكن لديه لحسن الحظ هذه النظرة إلى الليالي العربية». ويتضح أن المقصود

---

(١) John Barth: *The Last Voyage of Somebody the Sailor* (New York: Doubleday, 1991). الإشارات في النص هي إلى هذه الطبعة.